بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

٦٧

عُتْبَةُ بنُ غَزْوَان

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ بنِ جَابِرِ بنِ وَهَبِ بنِ نُسَيْبِ بنِ زَيْدِ بنِ مَالِكِ بنِ الحَارِثِ بنِ عَوْفِ بنِ مَازِنِ بنِ مَنْصُورِ بنِ عِكْرِمَةَ بنِ خَصَفَةَ بنِ قَيْسِ عَيْلَانَ بنِ مُضَرٍ.

يُكَنَّى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، كَمَا قِيلَ: أَبَا غَزْوَانَ، وَقَدْ أَقَامَ بِمَكَّةَ حَلِيفاً لِبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ. كَانَ طَوِيلاً جَمِيلاً، مَاهِراً فِي الرِّمَايَةِ، وَيُعَدُّ مِنَ الرُّمَاةِ البَارِزِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وُلِدَ حَوَالَي سَنَةِ ٤٠ قَبْلَ الهِجْرَةِ، فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، بِخَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً. حَيْثُ كَانَتْ هِجْرَةُ عُتْبَةَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ.

كَانَ عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، دَارَ الأَرْقَمِ بنِ أَبِي الأَرْقَمِ المَخْزُومِيِّ، وَهَاجَرَ إِلَى الحَبَشَةِ مَعَ الجَمَاعَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي انْطَلَقَتْ مَعَ جَعْفَرِ بنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبَعْدَهُ، وَلَكِنْ

لَمْ يَلْبَثْ أَنْ عَادَ مَعَ مَنْ رَجَعَ مِنَ المُهَاجِرِينَ، وَكَانَتْ تِلْكَ العَوْدَةُ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الخَامِسَةِ مِنَ البِعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ مَعَ العِلْمِ أَنَّ المُهَاجِرِينَ إِلَى الحَبَشَةِ قَدْ بَدَؤُوا بِالْهِجْرَةِ فِي شَهْرِ رَجَب مِنَ السَّنَةِ نَفْسِهَا.

بَقِيَ عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي مَكَّةَ مَعَ بَقِيةِ إِخْوَانِهِ وَرَسُولِهِمُ الكَرِيمِ، عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، حَتَّى كَانَتِ الهِجْرَةُ إِلَى المَدِينَةِ، وَهِيَ مُدَّةٌ تَقْرُبُ مِنْ ثَمَانِ سَنَوَاتٍ.

بَدَأَ المُسْلِمُونَ بِالهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ، ثُمَّ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَلَحِقَهُمَا بَعْدَ أَيَّامٍ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ بَقِيَّةُ المُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَبْقَ فِي مَكَّةَ مِنْهُمْ إِلاَّ بَعْضُ المُسْتَضْعَفِينَ، وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ إِيمَانَهُمْ، وَبَعْضُ حُلَفَاءِ سَادَاتِ قُرَيْشٍ احْتِرَاماً لِلْمَوَاثِيقِ الَّتِي بَيْنَهُمْ، وَخَوْفاً مِنْ أُولَئِكَ السَّادَاتِ، وَكَانَ مِنْ هَؤُلاَءِ الحُلَفَاءِ المِقْدَادُ بنُ عَمْرٍو حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ، وَعُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ حَلِيفُ بَنِي نَوْفَلِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَنَوْفَلُ وَعَبْدُ شَمْسٍ أَخَوَانِ وفي حِلْفٍ، كَمَا بَقِيَ العَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَكَانَ مِمَّنْ يَكْتُمُ إِسْلاَمَهُ حَيْثُ كَانَ عَيْناً لِرَسُولِ اللَّه، ﷺ، عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ، وَسَنَداً لِمَنْ بَقِيَ مِنَ المُسْلِمِينَ المُسْتَضْعَفِينَ فِي مَكَّةَ، يَرْعَى شُؤُونَهُمْ، يُسَاعِدُهُمْ سِرّاً، وَيَقِفُ بِجَانِبِهِمْ، وَيُظْهِرُ أَنَّهُ عَلَى دِينِ

آبَائِهِ وَقَوْمِهِ.

وَفِي المَدِينَةِ آخَى رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، فَأَصْبَحُوا كُتْلَةً وَاحِدَةً تَحْتَ رَايَةٍ وَاحِدَةٍ بَعِيدِينَ عَنْ عَصَبِيّاتِ الجَاهِلِيَّةِ مِنْ قَوْمِيَّةٍ وَقَبِيلِيَّةٍ، كَمَا وَادَعَ يَهُودَ فَخَفَّفُوا مِنْ فِتَنِهِمْ مَرْحَلِيًّا رَيْثَمَا يَنْجَلِي لَهُمُ المَوْقِفُ ـ حَسْبَ تَصَوُّرِهِمْ ـ وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى المُسْلِمِينَ حَتَّى يَشْتَدَّ سَاعِدُهُمْ، وَيَقْضُوا عَلَى العَدَوَاتِ الأُخْرَى، كَيْ لاَ يَنْضَمَّ اليَهُودُ فِي هَذِهِ المَرْحَلَةِ إِلَى أَعْدَاءِ المُسْلِمِينَ خَارِجَ المَدِينَةِ.

أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، يَقُومُ بِغَزَوَاتٍ، وَيُرْسِلُ السَّرَايَا إِلَى الجِهَاتِ القَرِيبَةِ مِنَ المَدِينَةِ حَيْثُ كَانَتْ طُرُقُ قَوَافِلِ قُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ. وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ الغَزَوَاتِ وَالسَّرَايَا لِتَضُمَّ إِلاَّ المُهَاجِرِينَ لِأَنَّ الهَدَفَ مِنْهَا اسْتِطْلاَعُ الأَرْضِ، وَهَذَا أَمْرٌ يَعْرِفُهُ الأَنْصَارُ، كَمَا كَانَتِ الرَّغْبَةُ فِي التَّعَرُفِ عَلَى القَبَائِلِ الضَّارِبَةِ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي وَالْعَمَلِ عَلَى إِقَامَةِ عَلاَقَاتٍ مَعَهَا وَعُهُودٍ، وَهُوَ أَمْرٌ أَيْضاً قَائِمٌ مَعَ الأَنْصَارِ، وَحَتَّى لاَ يُظَنَّ أَنَّ العَلاَقَاتِ إِذَا تَمَّتْ إِنَّمَا هِيَ مَعَ الأَنْصَارِ فِيمَا إِذَا كَانُوا ضِمْنَ تِلْكَ الغَزَوَاتِ وَالسَّرَايَا إِنْ أَرَادَتْ القَبَائِلُ الانْسِحَابَ مِمَّا عَاهَدَتْ عَلَيْهِ.

غَزَا رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، يُرِيدُ قُرَيْشاً وَبَنِي ضَمْرَةَ، فَوَصَلَ إِلَى

بَلْدَةِ (وَدَّانَ)، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ صَفَر مِنَ السَّنَةِ الأُولَى لِلْهِجْرَةِ، فَوَادَعَهُ بَنُو ضَمْرَةَ. وَلَمْ يَلْقَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، كَيْداً فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ.

وَبَعْدَ مُرُورِ سَنَةٍ قَمَرِيَّةٍ مِنْ هِجْرَتِهِ أَيْ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ بَعَثَ عُبَيْدَةَ بنَ الحَارِثِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ فِي ثَمَانِينَ رَاكِباً كُلُّهُمْ مِنَ المُهَاجِرِينَ، يُرِيدُونَ رَكْباً لِقُرَيْشٍ بِإِمْرَةِ عِكْرِمَةَ بنِ أَبِي جَهْلٍ. فَسَارَ عُبَيْدَةُ بِمَنْ مَعَهُ حَتَّى بَلَغَ مَاءً بِالحِجَازِ بِأَسْفَلِ ثَنِيَّةِ (المُرَّةِ)، فَلَقِيَ بِهَا رَكْبَ قُرَيْشٍ، وَكَانَ جَمْعاً كَبِيراً، وَلَكِنْ لَمْ يَقَعْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ، إِلاَّ أَنَّ سَعْدَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ قَدْ رَمَى يَوْمَئِذٍ بِسَهْمٍ، فَكَانَ أَوَّلَ سَهْمٍ رُمِيَ بِهِ فِي الإِسْلاَمِ. وَانْصَرَفَ الرَّكْبَانِ بَعْضُهُمَا عَنْ بَعْضٍ. وَلَكِنْ فَرَّ مِنَ المُشْرِكِينَ المِقْدَادُ بنُ عَمْرٍو البَهْرَانِيُّ، وَعُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ بنِ جَابِرٍ، وَكَانَا مُسْلِمَيْنِ مِنْ قَبْلُ، وَقَدْ خَرَجَا مَعَ المُشْرِكِينَ لِيَصِلاَ إِلَى المُسْلِمِينَ.

وَتَوَالَتِ الغَزَوَاتُ وَالسَّرَايَا، وَكَانَ عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جُنْدِيًّا مِنْ جُنُودِ الإِسْلاَمِ، يَسِيرُ فِي كُلِّ غَزْوَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ حَسْبَ أَوَامِرِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمِنْ هَذِهِ السَّرَايَا الَّتِي بَعَثَهَا رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، سَرِيَّةَ

عَبْدِ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ الَّتِي بَعَثَهَا فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَتَضُمُّ ثَمَانِيَةَ رِجَالٍ كُلُّهُمْ مِنَ المُهَاجِرِينَ، وَهُمْ:

عَبْدُ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ: أَمِيرُ السَّرِيَّةِ. مِنْ حُلَفَاءِ بَنِي عبْدِ شَمْسٍ.

أَبُو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ: مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ.

عُكَّاشَةُ بنُ مُحْصِنٍ: مِنْ حُلفَاءِ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ. وَهُوَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ.

عُتْبَةُ بنُ غزْوَانَ: مِنْ حُلَفَاءِ بَنِي نَوْفَلِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ.

سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ: مِنْ بَنِي زُهْرَةَ.

عَامِرُ بنُ رَبِيعَةَ: مِنْ حُلَفَاءِ بَنِي عَدِيٍّ. مِنْ عَنْزِ بنِ وَائِلٍ.

وَاقِدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ: مِنْ حُلَفَاءِ بَنِي عَدِيٍّ، وَهُوَ مِنْ تَمِيمٍ.

خَالِدُ بنُ البُكَيْرِ: مِنْ حُلَفَاءِ بَنِي عَدِيٍّ، وَهُوَ مِنْ بَنِي سَعْدِ بنِ لَيْثٍ.

سُهَيْلُ بنُ بَيْضَاءَ: مِنْ بَنِي الحَارِثِ.

وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، كِتَاباً لأَمِيرِ السَّرِيَّةِ، وَأَمَرَهُ أَنْ لاَ يَنْظُرَ فِيْهِ حَتَّى يَسِيرَ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ يَنْظُرُ فِيْهِ، فَيَمْضِي لِمَا أَمَرَهُ بِهِ،

وَلاَ يَسْتكْرِهُ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَداً. فَلَمَّا سَارَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ يَوْمَيْنِ فَتَحَ الكِتَابَ، فَنَظَرَ فِيْهِ، فَإِذَا فِيْهِ: إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا فَامْضِ حَتَّى تَنْزِلَ (نَخْلَةَ) بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفَ، فَتَرَصَّدَ بِها قُرَيْشَاً، وَتَعَلَّمَ لَنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ. فَلَمَّا نَظَرَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ فِي الكِتَابِ، قَالَ: سَمْعاً وَطَاعَةً؛ ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: قَدْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، أَنْ أَمْضِيَ إِلَى (نَخْلَةَ) أَرْصُدُ بِهَا قُرَيْشَاً حَتَّى آتِيَهُ مِنْهُمْ بِخَبَرٍ، وَقَدْ نَهَانِي أَنْ أَسْتكْرِهَ أَحَداً مِنْكُمْ. فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُرِيدُ الشَّهَادَةَ وَيَرْغَبُ فِيْهَا فَلْيَنْطَلِقْ، وَمَنْ كَرِهَ ذَلِكَ فَلْيَرْجِعْ؛ فَأَمَّا أَنَا فَمَاضٍ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ. فَمَضَى وَمَضَى مَعَهُ أَصْحَابُهُ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ. هَكَذَا الطَّاعَةُ، وَهَكَذَا القِيَادَةُ، وَهَكَذَا الجُنْدِيَّةُ. فَقِيَادَةُ المُسْلِمِ أَفْضَلُ قِيَادَةٍ، وَجُنْدِيَّتُهُ خَيْرُ جُنْدِيَّةٍ، وَطَاعَتُهُ فِيْهَا أَسْمَى مَعَانِي الطَّاعَةِ، طَاعَةٌ تَامَّةٌ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ لِأَمْرٍ مِنْ أَوَامِرِ اللَّهِ، وَدُونَ مُخَالَفَةٍ.

وَلَمَّا كَانَتِ السَّرِيَّةُ فِي مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: (بَحْرَانُ) أَضَلَّ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ بَعِيْرَاً لَهُمَا كَانَا يَتَعَقَّبَانِهِ، فَتَخَلَّفَا عَلَيْهِ فِي طَلَبِهِ. وَمَضَى عَبْدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ وَبَقِيَّةُ أَصْحَابِهِ حَتَّى نَزَلَ بِـ(نَخْلَةَ)، فَمَرَّتْ بِهِ عِيْرٌ لِقُرَيْشٍ تَحْمِلُ زَبِيباً وَأَدَماً، وَتِجَارَةً مِنْ تِجَارَةِ قُرَيْشٍ فِيْهَا:

عَمْرُو بنُ الحَضْرَمِيِّ.

عُثْمَانُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيُّ.

نَوْفَلُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيُّ.

الحَكَمُ بنُ كَيْسَانَ: مَوْلَى هِشَامِ بنِ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيُّ.

فَلَمَّا رَأَوْهُمُ القَوْمُ هَابُوهُمْ وَقَدْ نَزَلُوا قَرِيباً مِنْهُمْ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ عُكَّاشَةُ بنُ مُحْصِنٍ، وَكَانَ قَدْ حَلَقَ رَأْسَهُ، فَلَمَّا رَأَوْهُ آمَنُوا، وَقَالُوا: عُمَّارٌ، لاَ بَأْسَ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ. وَتَشَاوَرَ القَوْمُ فِيهِمْ، وَذَلِكَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ؛ فَقَالَ القَوْمُ: وَاللَّهِ لَئِنْ تَرَكْتُمُ القَوْمَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَيَدْخُلُنَّ الحَرَمَ، فَلَيَمْتَنِعُنَّ مِنْكُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ لَتَقْتُلُنَّهُمْ فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ؛ فَتَرَدَّدَ القَوْمُ، وَهَابُوا الإِقْدَامَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ شَجَّعُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَأَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِ مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْهُمْ، وَأَخْذِ مَا مَعَهُمْ فَرَمَى وَاقِدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ عَمْرَوَ بنَ الحَضْرَمِيِّ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ، وَاسْتَأْسَرَ عُثْمَانَ بنَ عَبْدِ اللَّهِ، وَالحَكَمَ بنَ كَيْسَانَ، وَأَفْلَتَ القَوْمَ نَوْفَلُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ فَأَعْجَزَهُمْ. وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ وَأَصْحَابُهُ بِالعِيرِ وَبِالأَسِيرَيْنِ، حَتَّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، بِالمَدِينَةِ.

فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، بِالمَدِينَةِ؛ قَالَ: مَا أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالٍ فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ. فَوَقَّفَ العِيرَ وَالأَسِيرَيْنِ، وَأَبَى أَنْ يَأْخُذَ

مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً. فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، سُقِطَ فِي أَيْدِي الْقَوْمِ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا، وَعَنَّفَهُمْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا صَنَعُوا. وَقَالَتْ قُرَيْشٌ: قَدِ اسْتَحَلَّ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ الشَّهْرَ الْحَرَامَ، وَسَفَكُوا فِيْهِ الدَّمَ، وَأَخَذُوا فِيْهِ الأَمْوَالَ، وَأَسَرُوا فِيْهِ الرِّجَالَ؛ فَقَالَ مَنْ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ كَانَ بِمَكَّةَ: إِنَّمَا أَصَابُوا مَا أَصَابُوا فِي شَعْبَانَ.

وَقَالَتْ يَهُودُ ـ تَفَاؤُلٌ بِذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ ـ عَمْرُو بنُ الحَضْرَمِيِّ قَتَلَهُ وَاقِدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَمْرُو: عَمُرَتِ الحَرْبُ، وَالحَضْرَمِيُّ: حَضَرَتِ الحَرْبُ؛ وَوَاقِدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ: وَقَدَتِ الحَرْبُ. فَجَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لاَ لَهُمْ.

فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيْهِ قُلْ قِتَالٌ فِيْهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالمَسْجِدِ الحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا[١]]. فَلَمَّا نَزَلَ القُرْآنُ بِهَذَا مِنَ الأَمْرِ، وَفَرَّجَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ المُسْلِمِينَ مَا كَانُوا فِيْهِ مِنَ الشَّفَقِ[٢]، قَبَضَ

---

(١) سورة البقرة ٢١٧.

(٢) الشفق: الخوف.

رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، العِيرَ وَالأَسِيرَيْنِ، وَبَعَثَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ فِي فِدَاءِ عُثْمَانَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَالحَكَمِ بنِ كَيْسَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: لاَ نَفْدِيكُهُمَا حَتَّى يَقْدُمَ صَاحِبَانَا ـ يَعْنِي سَعْدَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعُتْبَةَ بنَ غَزْوَانَ ـ فَإِنَّا نَخْشَاكُمْ عَلَيْهِمَا، فَإِنْ تَقْتُلُوهُمَا نَقْتُلْ صَاحِبَيْكُمْ. فَقَدِمَ سَعْدٌ وَعُتْبَةُ، فَأَفْدَاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مِنْهُمْ.

فَأَمَّا الحَكَمُ بنُ كَيْسَانَ فَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ، وَأَقَامَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ شَهِيداً. وَأَمَّا عُثْمَانُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ فَلَحِقَ بِمَكَّةَ فَمَاتَ بِهَا كَافِراً(١).

نَزَلَ عُتْبَةُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بنِ سَلَمَةَ العَجْلاَنِيِّ، وَقِيلَ عِنْدَ عَبَّادِ بنِ بِشْرٍ، وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي دُجَانَةَ.

وَشَهِدَ عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، بَدْراً وَالمَشَاهِدَ كُلَّهَا.

وَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

عُتْبَةُ مَعَ الصِّدِّيقِ:

شَارَكَ عُتْبَةُ فِي قِتَالِ المُرْتَدِّينَ، وَكَانَ مَعَ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ،

---

(١) انظر سيرة ابن هشام.

وَانْتَقَلَ إِلَى الجَبْهَةِ الشَّرْقِيَّةِ لِقِتَالِ الفُرْسِ بَعْدَ القَضَاءِ عَلَى حَرَكَةِ الرِّدَّةِ، وَقَدْ أَبْلَى فِي الجِهَادِ أَحْسَنَ البَلاَءِ.

عُتْبَةُ مَعَ الفَارُوقِ:

كَانَ عُتْبَةُ فِي طَلِيعَةِ المُجَاهِدِينَ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَهُ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلَى المَنْطِقَةِ الَّتِي تَقَعُ شَمَالَ الخَلِيجِ العَرَبِيِّ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَخْتَطَّ البَصْرَةَ، وَكَانَتْ مِنْ قَبْلُ تُعْرَفُ بِالأُبُلَّةِ، وَتُعْرَفُ المَنْطِقَةُ بِأَرْضِ الهِنْدِ، فَهُوَ الَّذِي مَصَّرَ البَصْرَةَ، فَأَوَّلَ مَا نَزَلَهَا كَانَ فِي ثَمَانِمِائَةٍ، فَبَنَى المَسْجِدَ بِقَصَبٍ، وَلَمْ يَبْنِ بِهَا دَاراً، وَسُمِّيَتْ البَصْرَةُ بِحِجَارَةٍ سُودٍ كَانَتْ هُنَاكَ. فَلَمَّا كَثُرُوا بَنَوْا سَبْعَ دَسَاكِرَ مِنْ لَبِنٍ، اثْنَتَيْنِ مِنْهَا فِي الخُرَيْبَةِ. فَكَانَ أَهْلُهَا يَغْزُونَ جِبَالَ فَارِسَ.

وَكَانَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، عَامِلَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلَى المَشْرِقِ، فَكَانَ يَكْتُبُ إِلَى عُتْبَةَ بنِ غَزْوَانَ، فَوَجَدَ مِنْ ذَلِكَ، وَاسْتَأْذَنَ الخَلِيفَةَ أَنْ يَقْدُمَ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَاسْتَخْلَفَ مَكَانَهُ عَلَى البَصْرَةِ المُغِيرَةَ بنَ شُعْبَةَ، وَكَانَ قَدْ أَمْضَى سِتَّةَ أَشْهُرٍ عَامِلاً عَلَى البَصْرَةِ. وَشَكَا إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ تَسَلُّطَ سَعْدٍ عَلَيْهِ. فَسَكَتَ عُمَرُ. فَأَعَادَ عَلَيْهِ عُتْبَةُ وَأَكْثَرَ، قَالَ: وَمَا عَلَيْكَ يَا عُتْبَةُ أَنْ تُقِرَّ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ؟. قَالَ: أَوَلَسْتُ مِنْ قُرَيْشٍ؟ قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «حَلِيفُ القَوْمِ مِنْهُمْ»، وَلِي صُحْبَةٌ قَدِيمَةٌ. قَالَ: لاَ نُنْكِرُ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِكَ. قَالَ: أَمَّا إِذ صَارَ الأَمْرُ إِلَى هَذَا، فَوَاللَّهِ لاَ أَرْجِعُ إِلَى البَصْرَةِ أَبَدَاً. فَأَبَى عُمَرُ، وَرَدَّهُ، فَمَاتَ بِالطَّرِيقِ، أَصَابَهُ البَطْنُ فِي «مَعْدِنِ بَنِي سُلَيْمٍ» سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ، وَقَدِمَ غُلاَمُهُ سُوَيْدُ بِمَتَاعِهِ وَتَرِكَتِهِ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ.

تُوفِّيَ وَعُمْرُهُ سَبْعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَخْرَجَ مُسْلِمٌ /٢٩٦٧/ فِي الزُّهْدِ مِنْ طَرِيقِ حُمَيْدِ بنِ هِلاَلٍ، عَنْ خَالِدِ بنِ عُمَيْرٍ العَدَوِيِّ قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصَرْمٍ[١] وَوَلَّتْ حَذَّاءَ[٢]، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لاَ زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ. فَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيْهَا سَبْعِينَ عَامَاً لاَ يُدْرِكُ لَهَا قَعْرَاً. وَاللَّهِ لَتُمْلأَنَّ. أَفَعَجِبْتُمْ؟ وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ مَسِيرَةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ. وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلاَّ

---

(١) الصرم: الانقطاع.

(٢) حذّاء: مسرعةً.

وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قُرِّحَتْ أَشْدَاقُنَا. فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بنِ مَالِكٍ، فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا، وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا. فَمَا أَصْبَحَ اليَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيراً عَلَى مِصْرٍ مِنَ الأَمْصَارِ. وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيماً، وَعِنْدَ اللَّهِ صَغِيراً. وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ إِلَّا تَنَاسَخَتْ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عاقِبَتِهَا مُلْكاً. فَسَتَخْبَرُونَ وَتُجَرِّبُونَ الأُمَرَاءَ بَعْدَنَا[1].

(١) انظر سير أعلام النبلاء.